(مقام الخضر)بين وهم الحاضر وحقيقة التاريخ

رؤية في المنام جعلت من مسنة لقصر نبوخذ نصر مقاماً للخضر

ماجد موجد

مقام الخضر، هكذا اشيع حول كتلة من البناء القديم تقع على الضفة الغربية من جسر باب المعظم من جهة الكرخ، وهو مكان كان مهجوراً ومهملاً حتى عام ١٩٨٢، الا ان احد الاشخاص (كما يقول اهل المنطقة) اتخذ على مقربة منه مسكناً ثم ما لبث ان ادعى ان هذه البناية القديمة هي مقام الخضر، وانه رأى رؤيا في المنام مفادها ان الخضر اقام صلاته على هذا المكان وانه طلب منه ان يطهره ويجعله مزاراً .وقد صدقه الناس القريبون من المكان ثم سرعان ما انتشر خبر حول ظهور مقام الخضر وصار يقصد من مناطق بعيدة من بغداد بل حتى من محافظات العراق الاخرى. ولم تمر سوى سنوات قليلة حتى تحول المكان الى منتجع سياحي بسيط توفرت فيه الحدائق والكازينوهات وكذلك ملاعب للاطفال فضلاً عن الزوارق النهرية التي تأخذ الزوار برحلات على نهر دجلة وصار المكان يوفر غايتين لمن يقصده واحدة (للتبرك) واخرى للسياحة.

شموع الخضر

وثمة ظاهرة قديمة عرف بها البغداديون وهي ما تسمى بشموع الخضر، حيث توقد كل امرأة شمعة وتضعها على قطعة من كرب النخيل، وتتركها في النهر ثم تدعو وتطلب مرادها، فإذا عبرت قطعة الكرب الى الضفة الاخرى بقيت الشمعة موقدة فوقها فإنها سوف تفرح لأن طلبها سيجاب، اما اذا انطفأت الشمعة ولم تصل فهذا يعني ان طلبها لن يجاب.

واذ ظهر مقام الخضر في هذا المكان فقد اصبحت ظاهرة ايقاد الشموع في النهر اكثر قبولاً لدى الناس، وصار مقام الخضر هو غاية الوصول المباركة التي لا شك فيها.

ثمة حكايات غريبة يتداولها ابناء المنطقة القريبة من (مقام الخضر) منها مثلاً ان احد العمال اليابانيين سقط في احد قوالب الدعامات لحظة انشاء الجسر، وحيث انه تعذر اخراجه فقد صبت عليه الخرسانة، وبعد مدة من الزمن جاءت عائلة هذا العامل، كما اكد لنا اكثر من شخص ووضعت باقة من الزهور على حافة الدعامة التي صارت قبراً له، الظريف ان الناس القريبين عدوا هذه الحالة التي رافقتها صلوات وبكاء انما هي اعتراف من هذه العائلة بقدسية المكان، واضاف احد المواطنين من سكنة المنطقة شيئاً طريفاً آخر: هو ان هذا المبنى لم يكن يعني شيئاً لاهالي المنطقة ولكن احد شقاوات المنطقة طلب من رئيس النظام السابق ان يبني كوخاً على اطلال هذا المبنى ويستفيد من الشاطئ القريب منه، فمنحه اياه وسرعان ما ادعى ان هذا المكان هو مقام للخضر، صدقت الناس دعواه وقد ايد مواطنون آخرون من سكنة المنطقة هذه الحكاية.

مكان موحش

قمنا بجولة تفقدية في ارجاء المكان الذي بدا موحشاً لأن زواره يكادون يعدون على اصابع اليد الواحدة ولم يبق من ملاعب الاطفال سوى اطلال مهشمة رغم ان جولتنا كانت في وقت متأخر من النهار، وهو الوقت الذي عادة ما كانت تتجمهر العوائل فيه وتنتشر على الشاطئ حيث المطاعم والكازينوهات واكشاك لبيع الحلوى والمشروبات الغازية وغيرها مما يعرضه الباعة المتجولون في اماكن شتى، دخلنا الى البناية التي على سقفها منارة صغيرة مبنية من الآجر ومجصصة وقد دهنت باللون الاخضر هي ومدخل البناية دلالة على الجانب الديني الذي (اضفي)على المكان، وكانت هناك لطخات من الحناء وقطع من الاقمشة ذات اللون الاخضر والاحمر والاسود، ما ان دخلت حتى واجهني شاب نحيف يرتدي الدشداشة وسألني ان كنا بحاجة الى شيء، وقبل ان اجيبه دخلت سيدة وبيدها كيس مليء بقطع من الورق الملفوف والمربوط بخيوط خضر، وراحت تطلب منه ان يدفنها، وقبل ان تغادر قال لها اين البركة؟ فأعطته الف دينار فرفض اخذها، ثم سألها كم عددها؟ فقالت: (١٤) فقال لها كل لفافة ادفنها بـ (٥٠٠) دينار، وبعد مناقشات اقتنع بثلاثة آلاف دينار، وعندمامضت المرأة، اعاد علي السؤال تفضلوا! وحين علم بمقصدي قال: ليس لدي وقت تعال غداً، وبعد اخذ ورد قال: ان هذا المكان يقال انه يعود للملك نبوخذ نصر، ولكن الناس تأتي الى هنا على اساس انه مقام للخضر ونحن لا نطردهم لان المكان هو مصدر رزقنا، سألته من هذا الشخص المسؤول عن المكان، فبين انه السيد محمد محمود سويلان وقال: انه ابي وهو رجل مقعد وقد اوكل لي مهمة القيام بخدمة (المقام) واخذ النذور من الناس وعن قصة المرأة التي اتت بهذه اللفافات من الورق، قال: هذه اوهام النساء، انهن يأتين بهذه الاوراق ويسمونها (بطلة) أي ابطال للسحر، مكتوب فيها بعض الطلاسم وتعتقد النساء انه في حالة دفن هذه الاوراق قرب هذا المكان سوف يبطل السحر المعمول لهن او لاحد افراد اسرهن، فقلت له: وهل ستدفنها: فقال بالطبع لا.. فهذه اوهام واباطيل ولكني لا استطيع ردهن ثم انني احصل على قوتي من هذا العمل.

المكان اصبح مهجوراً واهالي المنطقة يريدونه منتجعاً سياحياً.

دعوة لانشاء منتجع سياحي

رجل كهل يقال له (ابو حسن) وجدته جالساً هناك يتأمل النهر، سالته عن اسباب خلو المنطقة من الناس فقال: منذ عام ٢٠٠٢ قل عدد الزوار لهذا المكان بشكل كبير وقبل هذا التاريخ ايضاً كان الزوار قليلين ولكن شيئاً فشيئاً صار بالكاد يأتي الى هنا بعض الزوار ولكن في الاعياد يزدهر المكان قليلاً، اما من احداث نيسان ٢٠٠٣ والى الان فالحالة اصبحت بائسة وانت ترى امامك ففي مثل هذا الوقت في الثمانينيات كان هذا المكان مزدحماً في جميع الايام، وهذه الزوارق التي تراها الان متوقفة كانت لاتستطيع الايفاء بطلبات العوائل التي تريد التنزه في النهر، وما دمت صحفياً فحبذا لو ان المعنيين في الدولة يهتمون بهذا المكان السياحي ويوفرون له المستلزمات والامن من اجل ان تعاد له الحياة، فهذا المكان بغض النظر عن معتقد الناس به فهو مكان يصلح ان يكون متنزهاً سياحياً جميلاً تقصده العوائل..

قصر نبوخذ نصر

لعل الى الان لم اتعرف بشكل حقيقي على اصل هذه الكتلة التاريخية والى أي عهد تعود ولذلك توجهت الى هيئة الآثار والتراث والتقيت فيها الدكتور حميد محمد حسن مدير المسح والتوثيق في دائرة التراث، وسألته عن تارخ هذه الكتلة وعائديتها فقال: ان هذه الكتلة هي جزء من (المسنات) وهي عبارة عن مصدات كانت تتقدم قصر الملك نبوخذ نصر الذي كان مشيداً في المنطقة التي تسمى حالياً خضر الياس، وهذه المسنات كانت تمنع صعود الماء الى القصر في مواسم الفيضان.

وقد هدم القصر وازيلت معالمه منذ زمن قديم ولم يبق منه سوى هذا الجزء، وقد تم التنقيب في هذه المنطقة اثناء انشاء الجسر الحالي وعثر على مجموعة كبيرة من الاحجار والرقم المختومة بختم نبوخذ نصر، وقد نقلت الى دائرة الاثار وهي محفوظة لدينا وفي نفس المكان انشئ في العصر العباسي قصر لعم ابي جعفر المنصور وهو قصر عيسى ابن موسى، ثم ازيلت اثار هذا القصر ايضاً بحكم الظروف الطبيعية وغيرها. هذه هي الحقيقة التاريخية للمكان، اما ما يشاع الان على انه مقام للخضر وما شابه فلا يمت للحقيقة بصلة..

الان يجدر بي ان ادعم مطلب الرجل الكهل الذي دعا فيه المسؤولين والمعنيين بإعادة الحياة لهذا المكان من خلال اقامة منتجع سياحي على الضفاف القريبة من (المسنات) فهو مكان اخاذ وسوف يكون محل جذب للمواطنين ممن يبحثون عن الراحة والاستجمام، بدلاً ان يترك بؤرة للشعوذة والممارسات غير

بين الغريب والضار في لعب الاطفال المستعملة

انعدام الرقابة يعرض اطفالنا للضرر

شكلت ظاهرة بيع اللعب المستوردة (البالات) حالة لافتة للنظر بعد انتشارها بصورة كبيرة في كل مكان بسبب الحرمان الذي عاشه الاطفال، وساقتنا اقدامنا بين زحمة العربات ووسط ضجيج الباعة في مدينة كربلاء لنصور اللافت والغريب ونتقصى الحديث من اناس غاب عن اذهانهم المدسوس واستلذوا برخصها.

انتصار السعداوي

نجم عبد خضير

اطفالنا محرومون

ودخلنا بسرعة لمعرفة الدافع لشراء مثل هذه اللعب، يقول المواطن(كاظم محمد) رخص اسعارها فضلاً عن ان اطفالنا حرموا منها لفترة طويلة ولان دخولنا لا تسمح الا بشراء ما هو مستعمل وقديم ومنها لعب اطفالنا. وكما ترى ان الطفل يسير وعيناه شاخصتان على هذه اللعب.

اما المواطن (احمد كريم) فيقول: ان هذه اللعب جميلة ورخيصة لكن جهلي بمصدرها يجعلني اتردد في شرائها لاطفالي حتى اني اضطر الى حبسهم في البيت عند ذهابي الى السوق حتى لا اكون مجبراً على ذلك بعد ان ملئت الشوارع والاسواق، ولا نعرف ما تحمله لاطفالنا في المستقبل. لذلك احاول الهاءهم بأقراص افلام الكارتون، وهذا اسلم لي.

وحين سألت المواطنة (وفاء محمد) اذا كانت تعرف مضار شراء هذه اللعب، انكبت نظرات البائع علينا باستنكار شديد لأني حرمته من بيع لعبة كانت تروم شراءها. وهي تقول لي: والله هذا لم يكن في بالي لكن اين نذهب، فأسعار اللعب الجديدة غالية جداً حيث يصل الفارق (١٠,٠٠٠) دينار بينما هذه بـ (١٥٠٠) دينار في اقصى حد!

لكن على كل حال انت نبهتني الى شيء لم اكن اعرفه ربما يسيء لاطفالي.

مواطنة تتعرض لخطر التسمم

اما المواطنة (ام منتظر) وهي موظفة وام لاربعة اطفال فروت لي قصة تسممها بإحدى هذه اللعب قائلة: اعجبتني جداً لعبة لاحدى الشخصيات الكارتونية.. والتي تسمى (فجلة) حسب ما قالت طفلتي.. وكان في هذه اللعبة جيب يفتح بسحابة، وانا في طريقي الى البيت دفعني الفضول الى فتح السحابة لاعرف ما فيه فحصلت على الغنائم الآتية: اربع قطع نقدية دنماركية، شريط حبوب في كيس نايلون مغلق، مفتاح، اوراق وخرائط، نوع من الدواء يشبه قلم الحمرة ابيض، فتحته ووضعته على انفي لكي اشمه واعرف ما هو.. فأغمي علي وانا في السوق، ولم استرد وعيي الا بعد دقائق..وبعد اجراء الاسعافات الاولية من صديقتي التي كانت ترافقني.. ولحد الان احتفظ بغنائمي..ولو اني اهديت اللعبة لطفلة اخرى!!

كيفية اختيار لعبة لاطفالنا

ترى الدكتورة باميلا منت في مقال منشور بترجمة السيد عبد الحسين المطلبي: (انه يجب على العائلة اختيار لعبة لطفلها تكون مناسبة لعمره، قوية، ممتعة، تحفزه على الخيال والتفكير، واخيراً وهو المهم ان تكون مأمونة -غير مؤذية- أي ليس فيها رؤوس مدببة او حادة يمكن ان يضعها الطفل في فمه وليس فيها مادة الرصاص او أي مادة سامة).

وبالنسبة للعب البالات فيمكن حماية الطفل من مضارها وذلك بغسلها وتعقيمها وازالة المحتويات التي قد تكون ضارة قبل اعطائها للاطفال.

غرائب البالات

يقول البائع (رياض وادي) نحن نشتري هذه البالات من تجار الشورجة وهم كثر، ونتيجة الارباح التي تحققها هذه البالات ازداد عدد التجار ونحن لا نعرف من أي جهة يأتون بها، فهناك بالات نظيفة واخرى رديئة لكننا هنا لا نعلم هل هي مفحوصة صحياً ام لا، هذا لا نعرفه، واللعب التي نبيعها هنا تكون نسبة الاقبال عليها جيدة لان اسعارها مناسبة.

البائع (حيدر كريم) يقول: نقوم بغسل معظم اللعب لانها في بعض الاحيان تكون متسخة وعملية شراء هذه اللعب تكون بالكيلو، نحن نشتري الكيلو الواحد بثلاثة دولارات. توقع في لعبة واحدة وجدنا (٣) كيلو من الرمل، وفي لعبة اخرى وجدنا (٢,٥) كيلو من الرز. اضافة الى مفاجأة مثلاً وجودجهاز موبايل او ورقة نقدية فئة (١٠٠) دولار.. لكن هذا لا يعني اننا قد لا نجد جرثومة ما فالمسؤولية تقع على الرقابة الصحية والوضع في بلادنا شجع استيراد مثل هذه اللعب، ونحن نتداولها في البيع والشراء لان ظرف البطالة يدفعنا لمزاولة مثل هذا العمل.

ومن السوق وبائعي البالات المختصة بلعب الاطفال اتجهنا بخطوات مليئة بالاسئلة الى دائرة الرقابة الصحية في المدينة لمعرفة آثار هذه اللعب على اطفالنا.

همنا الاول فحص الاغذية

الدكتور عزيز جابر عبد الله مدير شعبة الرقابة الصحية في كربلاء قال لنا بوضوح: همنا الاول هو الانتباه للاغذية الداخلة للقطر، ولم نكن نعير اهتماماً لهذه اللعب ومع ذلك نجد ثمة ما يدفعنا الى تتبع مثل هذه الحالات ورفع توصيات بشأنها الى وزارة الصحة لغرض متابعتها مع الوزارات الاخرى، اذ ان الحالة تتطلب المراقبة بعد ان اصبح العراق مفتوحاً على مصراعيه لدخول العديد من السلع الملغومة بالامراض من اطراف مغرضة، وهذه ربما تتم ايضاً عن طريق اللعب الجديدة ايضاً واكثر الخوف من الامراض الخطرة كالايدز.

يتنفسون الحياة من خلال الاهوار

سكان الاهوار:

خيراتنا لا تنضب. المهم اننا عدنا والماء عاد

البصرة/ المدى

نظراً لما تتمتع به اهوار جنوب العراق من ثروات طبيعية واقتصادية، جهد النظام البائد لتغييبها او تدميرها..ومن اجل تأهيل هذه البيئة لدعم التطور الاقتصادي الكبير لمستقبل العراق الجديد اخذت المنظمات العالمية والمراكز العلمية تعقد الندوات وكان آخرها، مؤتمر احياء الاهوار الذي نظمه مركز علوم البحار/ جامعة البصرة بالتعاون مع مؤسسة عمار الخيرية العالمية.. تحت شعار (احياء الاهوار مسؤولية الجميع).. وكانت محاور المؤتمر هي (المحور البيئي والمحور الهيدرولوجي الرسوبي، ومحور الموارد الحية والمحور الجغرافي والسكاني والمحور الاقتصادي والسياحي).

استعادة الذاكرة

في الطريق الى الاهوار استعدت الذاكرة ومرابع الطفولة في اهوار الحمار.. وبالاخص منطقة الشليجية والجدمة والرز والعلوي والحلاف وغيرها.. ونحن في الطريق الترابي الى منطقة العلوي.. (نحو ٢٠٠ كيلو متر شمال مدينة المقعل في البصرة) اقبلت امرأة برفقة اطفالها تحث الخطى، فاستوقفتها، عرفت انها السيدة (هاشمية محمد) وهي عائدة الى ديارها بعد غربة طالت لسنين، قالت ما معناه: لست انا الوحيدة التي اعود الى مسكني فقد عاد قبلي العشرات من العوائل وقررت ان ارجع الى منطقتنا خاصة وان الحلال (كلمة تطلق على الجاموس) وقد سبقني مع زوجي منذ الفجر .. وصدقني ايها الافندي سعادتي ليس لها مثيل وانا راجعة الى بيتي السابق حتى وان انعدمت الخدمات.. ما دام الماء قد غطى المناطق ورجعت الطيور والاسماك واخذ القصب والبردي بالنمو من جديد اذن الخير سيأتي.. نحن لا نحتاج الى مظاهر المدينة الان.. نحتاجها مستقبلاً.. مدارس.. مستوصفات..خدمات.. كلها تأتي تباعاً المهم ان تجعلني قرب الماء والباقي على الله..

وفي المنطقة نفسها تحدث لنا السيد سلمان عبد الله..الموظف الصحي في المركز الصحي بالمنطقة الذي قال:

ان مركزنا الصحي يزوره يومياً العديد من ابناء المنطقة الذين كانوا يعانون من فقر دم ناتج عن سوء التغذية، ونحاول ان نقدم لهم العلاج المطلوب، ولكن لقلة الادوية وعدم تكامل المركز صحياً من جميع الاقسام والاجهزة نعاني صعوبات جمة ونشعر بأن عملنا الانساني ناقص بعض الشيء.. لذا فإني اقترح على الجهات المعنية ان تسارع في فتح مستوصفات جديدة وتزويد المستوصفات القديمة والمراكز الصحية بالمعدات والاجهزة الطبية والادوية الضرورية، واقترحت على زملائي ان نواصل العمل رغم الصعوبات ورغم المشاكل لكي نخدم ابناء الاهوار العائدين وهكذا كان.

وفي منطقة الجدمة حدثني السيد عزيز السيد محمد البطاط الذي قال: لقد كنا نعاني الامرين وما اكثر ما تعرضت بيوتنا الى الدمار وحلالنا الى الهلاك. ثم ان النظام الظالم لم يكتف بهذا بل امر جميع اهالي الاهوار بالانتقال فوراً من المنطقة ولم يعطنا وقتاً كافياً وقام بعد ذلك بتجفيفها مما حدانا ان نذهب الى المدينة التي لم نستطع ان نتأقلم فيها، لذا فإننا رجعنا الى بيوتنا السابقة عندما سنحت لنا اول فرصة.

حفلة شواء

واصطحبنا رجل طيب من منطقة الحلاف اسمه (مهاوش عباس) الذي طلب منا التوقف بعض الشيء وذهب الى ربوة ومعه بندقيته وعندما ثارت البندقية طارت بعض الطيور واذا به يخرج علينا من البردي وبيديه اربعة طيور يسميها (طيور حرة) طلاها بالطين بأكملها، واشعل برديا يابساً ووضعها فيه واخذ يذكي النار، ثم بعد ساعة نزع الطين واذا الطير مشوياً شوياً جيداً، وجلب لنا الخبز واجتمعنا حول المائدة مع بعض سكنة الاهوار .. ووسط ضحك زملائي الذين لم يكونوا قد شاهدوا من قبل هذه الامور.

تحقق حلمنا

قال لنا السيد علي الموسوي احد سكنة منطقة الطار..

لقد تحقق حلمنا فقد ذهبت الطغمة الفاسدة فلله الحمد والشكر.

اننا لا يمكن ان نعيش الا في هذه الحالة نتنفس الحياة من خلال الاهوار ورغم الصعوبات ورغم العديد من المشاكل والمعاناة لكن الحياة هنا تمتاز بحيوية وديمومة.. وما على الانسان الا ان يكون نشطاً والا يكتب عليه الخذلان لذلك فإنك تشاهد في كل مكان من القرية حركة غير اعتيادية.

وفي منطقة حرير التي سكنها صاحب مقامات الحريري وابدع فيها مقاماته.. وجدنا مدرسة ابتدائية تقع في اطراف الهور يقول السيد حسن كاظم البدري احد وجهاء المنطقة.. الذي احتفى بنا في مضيفه وقدم لنا القهوة العربية:

ان النعمة التي حبانا الله بها تريد منا الحفاظ عليها.. لذا فإن على المسؤولين في الوطن الحبيب تطوير المنطقة وبذل مساعي كبيرة من اجل ان تكون الاهوار قبلة العالم.. واذا استطعنا استغلالها استغلالاً جيداً فإننا سنحصد ذك حتماً.